الزوايا
ودورها الاجتماعي
بالمغرب الأقصى
في عصر بني مرين

الدكتور عبد اللطيف بن رحو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الزوايا ودورها الاجتماعي

بالمغرب الأقصى في عصر بني مرين

الدكتور عبد اللطيف بن رحو

أستاذ باحث في التراث المغربي

جامعة محمد الأول

وجدة المغرب

ملخص البحث

إن الإسلام دعا إلى تأْسِيسِ مجتمع تقتضي طبيعته ورسالته إلى البشرية أن يكون مجتمعا نموذجياً، وقوياً، ومُنْسَجِماً، وفاعِلاً. وإذا كانت المناسبةُ شَرْطاً وكَانَتْ إطاراً يمنحُ المَوْضُوعَ أهميةً خاصةً، وقيمةً مُضافةً فإن الموضوع الذي تَنَاوَلْتُهُ يَكْتَسِبُ تلك الأهمية والجدوى، من كونه يأتي في سياق انخراط الدولة المرينية في مشروع ضخم في مجال العمل الديني.

فقد شكلت الزوايا في العصر المريني وعاء ومركزا دينيا على نطاق واسع، ونموذجا يحتذى به، فالناظر لتاريخ الدولة المرينية يجد نفسه أمام تاريخ حافل، باعتبارها دولة متقدمة بامتياز في جميع المجالات .

والذي يهمنا في هذه الاشراقة البحثية المؤسسات الدينية وبالأخص الزوايا التي عرفت تطورا بارزا وهاما زمن الحكم المريني، لما لقيته من حفاوة وعناية خاصة، سواء من قبل السلاطين أم أهل البر والخير، ولعل هذه العناية نابعة من فكر نموذجي تأَصَّل في المجتمع المريني، ومن هنا كان حرصهم الدائم على ضرورة إنشاء الزوايا في مختلف المدن المغربية في ذلك العصر، إذ كانت الزوايا الحضن الدافئ والملاذ لمختلف شرائح المجتمع الذي يتساوى فيه الفقير والغني، والضعيف القوي.

والحديث عن الزوايا في العهد المريني حديث هام من تاريخ المغرب الأقصى، فقد انتقل وتطور ليصير عملاً نابعاً عن رؤية متكاملة لآفاق الفعل الديني المؤسساتي، فصارت له واجهات متعددة إِذِ انْدَمَجَ وتداخل فيه الفعل الاحساني مع الفعل التنموي الاقتصادي والتأهيل البشري لتصير الزوايا ورشاً كبيراً له وظائف عديدة ومتنوعة، ومتباينة، وذلك من خلال الدور الذي قدمته للمجتمع خلال ذلك العصر.

كما ساعدت المداخيل الموسعة والأوقاف والأحباس والصدقات المتنوعة، بالاعتناء بالزوايا على أحسن الوجوه.

الكلمات المفتاحية: الزوايا–سلاطين بني مرين–أهل البر والإحسان–الوقف والتحبيس.

Research Summary

Islam colled for the establishment of a model strong and harmonious society

The research that i spoke of shows the establishment of society especialy in the islamic work

zawaya are concidered as a religious center and they have know a remarkable development in the marinid state cause the zawiya was a warm embrace of all society that why they focus on talking good care of the zawaya

مقدمة

الحمد لله رب العالمين تعاظم ملكوته فاقتدر، وتعالى جبروته فقهر، وأعز من شاء ونصر، ورفع أقواما وخفض أقواما، فسبحانه الذي لا يرى بالبصر ويستدل عليه بالآيات والعبر وخلق كل شيء بقدر. والصلاة والسلام الأتمان الأنوران الأكملان الأزهران الأعتران المشرقان المضيئان على ولد عدنان سيدنا محمد ﷺ وعلى صحابته أجمعين ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد:

فالزوايا تعد في الإسلام مركزا إشعاعيا، فهي مؤسسة دينية وعلمية واجتماعية تبلورت أنشطتها ووظائفها وتجدرت داخل الأمة الإسلامية بصفة عامة، وداخل المجتمع المغربي بصفة خاصة. وقضت إرادة ملوك المغرب عبر التاريخ إنشاء الزوايا في كل حي من أحياء المدن، تستجيب لحاجات الساكنة وإلى قرب دائم من بيوت العبادة والصلاة، كما تفننوا في تشييد عدد ضخم من الزوايا على أروع وأجمل طراز معماري.

إن الحضارة الإسلامية في العهد المريني بالمغرب لها أهمية خاصة، لأنها شهدت نهضة دينية وازدهرت فيها الزوايا. إلى جانب أعمال الخير والمبرات الإحسانية المتنوعة، والأوقاف والأحباس.

فأقام المرينيون مجموعة رائعة من الزوايا في فاس، تازة، تلمسان، سبتة، طنجة، سلا، مكناس، ومراكش، وساهمت الأوقاف بشكل كبير في إنشاء هذه المعالم الدينية.

ومن هذا المنطلق اعتبر المرينيون الزاوية هيئة إسلامية عظيمة تفُوق جميع الهيئات واللجنات التي تنشأ وتقام في البلدان، وأنها خيرُ مؤسسة أو هيئة بعد المسجد لإصلاح المجتمعات البشرية، فلا يمكن إصلاح المجتمع إلا بتفعيل دور أكبر مؤسسة ألا وهي الزوايا، لأنها تربي المجتمع تربيةً إيمانيةً متكاملةً، ولذا نجد أن الدولة المرينية قد عمدت إلى تأسيس وإرساء قواعد الزوايا إبان وصولها إلى الحكم، ومن هنا بدأ دور الزوايا في تربية المجتمعات الإسلامية، ومع مرور الزمن أصبح من المسلَّم به أن الزوايا لا يقتصر دورها على أن يحضرها المسلمون لأداء الصلوات فحسب، بل إنها تقوم بجمع شمل الأمة الإسلامية، وتجمع قلوب المسلمين على المحبة والاحترام، والتآخي والتعاطف والتراحم، وتمنح لهم

الطمأنينة والسكينة، وتدعوهم إلى إحياء رُوح الإسلام فيما بينهم، خصوصا إذا لم يشبها الانحراف والضلال.

أسباب اختار الموضوع:

إن من أسباب اختياري لهذا الموضوع أنني لا أعلم فيما اطلعت عليه أن هذا الموضوع على أهميته يوجد في كتاب مستقل أو خصه باحث برسالة علمية أكاديمية غير ما كُتب في بعض المقالات بشكل مقتضب ومختصر عن الزوايا التي أسست في العهد المريني وأوقافها.

مما دفعني لدراسة هذا الموضوع أولا من الجانب التاريخي، وثانيا من الجانب الأوقاف والخدمات الاجتماعية التي قدمتها الزوايا في ذلك العهد.

محاولة إظهار أن الدولة المرينية عرفت نمطا جديدا ومتغيرا عن سابقيها ممن تولوا حكم المغرب في إنشاء الزوايا وتخصيص الأوقاف لها.

إبراز وجه التجديد في دراسة الزوايا، من خلال تتبع المصادر والمراجع التي تطرقت للحقبة المرينية.

أهمية الموضوع:

إن دراستي لموضوع الزوايا في العهد المريني سلط الضوء على أهم الزوايا التي تم تشييدها في الحقبة التاريخية لبني مرين. وإبراز مواقف السلاطين وجهودهم في مجال تحقيق ذلك، ورصدهم الأموال اللازمة لذلك والوقوف على مختلف المؤسسات الدينية بأنفسهم وهذا ما سيتضح من خلال استقراء النصوص التاريخية وتتبعها، وبيان ما كتبه بعض المؤرخين وأهل الرحلة وكتب التراجم.

كما كان سعي في هذا البحث توضيح وبيان الخدمة الاجتماعية التي قدمتها الزوايا، خصوصا أن الدولة المرينية من الدول التي تَفَوقت على مَنْ سبقوها في جانب المؤسسات الدينية وتحقيق قفزة نوعية

في هذا المجال. وكانت الرغبة ملحة في الوصول إلى الخبايا المستعصية وإخراجها للوجود إلا ما وجدناه صعب المنال.

منهج البحث:

-حاولت في هذا البحث أن أعتمد على المنهج الاستقرائي والاستنباطي والوصفي، لرصد الأحداث والوقائع التاريخية، وذلك من خلال تتبع الموضوع في أمهات المصادر التاريخية والدراسات المعاصرة، وكذلك كتب التراجم بغرض كشف الحقائق وبيان الملابسات التي تعتري البحث، وإخراج أمور جديدة إلى ظاهر الواقع.

-التزمت في هذا البحث بالنصوص التاريخية وجعلتها هي الحكم في تدعيم كل حدث وقول، لأسلك بذلك الموضوعية ما استطعت.

-عرض الزوايا كما جاءت في الكتب التاريخية والرحلات دون خلفية التعصب أو التحيز، أو تأييد فكرة مسبقة.

عراقيل البحث:

صاحبتني في موضوع البحث بعض المشاكل خصوصا ومنها ما يلي:

أولا: المصادر التاريخية لم تحدثت عن أغلب الزوايا التي شيدت في العصر المريني.

ثانيا: الكثير من الزوايا الصغيرة لم يتم تدوينها ولا نقلها عبر الروايات الشفوية، فبقيت حبيسة في أذهان من شاهدوها .

ثالثا: الكثير من الزوايا بقيت غامضة لأنها لم تدون في الحوالات الحبسية، التي تؤكد بدورها تاريخ تأسيسها واسم بانيها.

رابعا: اختلاف التواريخ من مصدر لآخر وأحيانا تجد التضارب في الأقوال واختلافها.

إشكالية البحث:

إلى أي مدى ساهمت الزوايا والأوقاف إلى تغيير واقع الناس في المجتمع المريني؟

كيف ساهمت الأوقاف والأحباس في إنشاء الزوايا وكذلك مشاركة أهل البر والإحسان في بناء المساجد في مختلف المدن المغربية؟

خطة البحث:

واستنادا على ما تم جمعه من مادة تاريخية منتقاة من مختلف المصادر التاريخية، وبعد الاطلاع عليها وتحليلها وتوظيفها، تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأول تحت عنوان بناء الزوايا في العصر المريني وقسمته إلى ثمانية مطالب

المبحث الثاني تحت عنوان الوقف على الزوايا وخدماتها الاجتماعية وقسمته إلى خمسة مطالب

المبحث الأول: بناء الزوايا في العهد المريني

اهتمت الدولة المرينية بوجه عام بالزوايا، التي بدأت تنتشر في مدنهم، ولتمتعنا بمنزلة دينية مقدسة وذلك لأنها غالبا ما كانت تؤسس قرب ضريح أحد الأولياء المتصوفة الذين يتمتعون بمكانة في نفوس المغاربة، فصارت مع الزمن محلا لاستقبال الغرباء الذين يقصدون البلاد، بل إنها صارت مساكن للمحتاجين والفقراء من سكان البلاد، على أن هذه الزوايا أحيانا كانت مراكز لتدريس بعض العلوم الدينية أيضا.[1]

والزوايا أو الأربطة التي انتشرت في شتى أنحاء المغرب، كان لها دور كبير في الحياة الدينية والاجتماعية والحربية في المجتمع المغربي في العصر الإسلامي ويشير الونشريسي إلى وجود ظاهرة الاجتماع على الذكر وتلاوة القرآن الكريم في الزوايا، علاوة على قراءة كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى وشيء من كتب الوعظ، ولم يكن هناك من ينكر ذلك، إذ كان الفقهاء يعتبرون هذا العمل من أنواع التعاون على البر والتقوى ووسيلة لتنشيط المتكاسل عن العبادة والذكر.[2]

ويطلق اسم ومصطلح الزاوية في بلدان المشرق على المسجد الصغير أو المصلى داخل حي من الأحياء، بينما يحدد الخطيب بن مرزوق في المسند أن الزوايا في المغرب تعني أماكن ارفاق الواردين واطعام المحتاجين من القاصدين. وهكذا أنشئت تلك المؤسسات الإحسانية بأرباض المدن أو بالخلاء

١مزاحم علاوي الشاهري الحضارة العربية الإسلامية في المغرب (العصر المريني) مركز الكتاب الأكاديمي الموصل (بدون رقم طبعة ولا تاريخ) ص:٢٢٦-٢٢٧.

٢كمال سيد أبو المصطفى جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي مركز الإسكندرية للكتاب القاهرة (بدون رقم طبعة) سنة: ١٩٩٦.ص:١٠٩.

لإيواء وضيافة الواردين، ورأى البعض أن الزوايا اتخذت أولا تبركا بصفة مسجد الرسول ﷺ يأوي إليها الفقراء.[1]

وقد أورد الأستاذ السقاط رأي الأستاذ الحسن اليوسي بكون الزاوية تهدف إلى التفرغ للعبادة في ركن بيت أو مسجد، أي بزاويته فسميت زاوية، ثم لإطعام الطعام وهو صدقة، كما أوجز الأستاذ السقاط تعريفات الأستاذ محمد بن تاويت بوجود زاوية بسيطة وأخرى ذات الولي تتحول حول الضريح إلى مركز عمراني وزاوية طرقية تنتسب إلى طريقة صوفية.[2]

وتحدث الدكتور عثمان إسماعيل، عن الدكتور عباس الجراري أنه ذكر أنها تعني في الشمال الإفريقي مكانا لاجتماع الشيخ بأتباعه ومريديه، وللعبادة والتعليم، والايواء والاطعام، ثم التعبئة والجهاد عند الاقتضاء.[3]

وفي نفس السياق يشير الدكتور عبد اللطيف الشاذلي على أن مؤسسة الزاوية اعتبرت في عداد المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية ذات الأساس ديني.[4]

وقد أصبحت الزاوية بالمغرب بديلا من مصطلح (الرباط) الذي يعني منشأة دينية وحربية للجهاد دفاعا عن الإسلام وهو المعنى الذي عرف عن (الرباط) قبل عصر المرابطين.

---

١ عثمان إسماعيل تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى مطبعة المعارف الجديدة الرباط الطبعة:١ سنة:١٩٩٣. ج/٤ ص:٢٦٤.

٢ تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ج/٤ ص:٢٦٤.

٣ المرجع نفسه ج/٤ ص:٢٦٤.

٤ عبد اللطيف الشاذلي التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري منشورات جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء مطابع سلا، سلا الطبعة:١ سنة:١٩٨٩ الصفحة:١٧٥.

وقد ارتبط مفهوم الزاوية بمصطلحات متعددة كالشيخ والمريد والفقير والطريقة، وأما الطريقة فهي النهج الذي يختاره المتصوفة لأداء أورادهم، وتتعدد الطرق بتعدد المناهج كطرق الشاذلية والناصرية والتيجانية والدرقاوية وغيرها.[1]

ولازالت إلى اليوم بعض آثار الزوايا ومعالم عمارتها تقدم تعريفا لها ابتداء من زاوية السلطان أبي سعيد عثمان (المتوفي ٧٣١هـ) بخلوة شالة وزاوية سيدي عبد الله البابوري داخل خلوة شالة خلف مدخلها الغربي الكبير، والزاوية المتوكلية خارج فاس الجديد وزاوية النساك التي شيدها أبو عنان خارج مدينة سلا وأخيرا زاوية جد الأشراف القادريين بناها السلطان أبو سالم إبراهيم المريني وتم بناؤها أواخر شهر رمضان من سنة ٧٦٢هـ للهجرة.[2]

ومع أن الزوايا تأسست بهدف تلقين المرينيين القيام بالشعائر الصوفية، فإنها لم تلبث أن تحولت إلى مدارس دينية، حيث لم تقتصر على تلقين الأوراد، والتفرغ للخلوة والعبادة، بل تعدد ذلك إلى تلقين العلوم الإسلامية بكل فروعها، وقد أقيمت حولها المدارس والأبنية لسكنى الطلبة، فأصبحت الزاوية تقصد لأخذ التصوف والعلم معا، كما هي مقصودة للضيافة وإيواء الغرباء والمسافرين حتى قيل في تعريفها أنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة، حيث ولا زال هذا المعنى مفهوما عندنا بالمغرب حيث يفهم من دار الزاوية أنها الدار المقصودة للضيافة، وإطعام الطعام.[3]

وابتداء من القرن الثامن الهجري، الموافق للرابع عشر ميلادي، تكاثرت الزوايا في المغرب الإسلامي وخاصة المغرب الأقصى في عهد المرينيين، وانتشرت في كل الجهات، وتأسست حول هذه الزوايا

---

١ تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ج/٤ ص:٢٦٤.

٢ المرجع نفسه ج/٤ ص:٢٦٤.

٣محمد علي بن الصديق، التصوف المغربي وتاريخه، مجلة دعوة الحق وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط: العدد:٢٨٥ سنة:٣٢ غشت ١٩٩١ الصفحة:٦٨.

مدارس لطلبة العلم، بحيث لعب أهل الزوايا دورا كبيرا وكان لهم السبق إلى تأسيس هذه المدارس، وهذا مما دعا المرينيين إلى العناية بها وإقامتها، بجانب المراكز العلمية بالمغرب وخاصة القرويين.[1]

ويحدد المقترب التاريخي اللحظة الزمنية التي انبثقت فيها مؤسسة الزوايا إذ شهدت النور لأول مرة على يد المخزن المريني الذي ساهم في دعمها وتقويتها.[2]

فكان المقصود في بداية أمر الزوايا في العهد المريني خاصة في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق أن تكون بمثابة استقبال الغرباء والمسافرين والموظفين المنتقلين.[3]

وكان للزوايا دور كبير في الحفاظ على المقومات الإسلامية، وكان لها أثر على أخلاق الناس خاصة في العهد المريني، وكانت تحث الزوايا على تهذيبهم وحملهم على التمسك بجادة الدين والتعلق بأحكامه وتعاليمه.[4]

---

١ المرجع نفسه ص:٦٩.

٢ محمد ضريف مؤسسة الزوايا بالمغرب منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٩٢ الصفحة:٢١.

٣ إبراهيم حركات المغرب عبر التاريخ دار الرشاد الحديثية الدار البيضاء (بدون رقم طبعة) سنة: ٢٠٠٠.ج/٢ ص:١٦١.

٤ محمد علي بن الصديق، التصوف المغربي وتاريخه ص:٧٠.

المطلب الأول: بناء الزوايا في مدينة سلا

الفرع الأول: بناء زاوية أبي الحسن المريني

شيد السلطان أبو الحسن المريني داخل سور مدينة سلا زاوية حسنة التخطيط مكتوب على بابها الغربي الكبير العجيب البناء البديع المثال بخط كوفي رائع بعد الافتتاح بالتعود والبسملة والصلاة على النبي عليه السلام: "أمر بهذا مولانا السلطان الأجل العادل المقدس المجاهد أمير المسلمين ناصر الدين أبو الحسن ابن السلطان الأجل الصالح العادل المقدس المجاهد المقدس أمير المسلمين ناصر الدين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق خلد الله ملكهم. وكان الفراغ منه في آخر ذي الحجة عام ٧٣٩هـ.[١]

الفرع الثاني: بناء زاوية النساك

تعد أطلال زاوية النساك الكائنة خارج سور سلا من جملة الزوايا العديدة الجميلة التي بناها السلطان أبو عنان فارس المريني في خارج المدن المغربية لتكون بمثابة دور للضيافة ينزل فيها الرحالة والمسافرون على اختلاف طبقاتهم. وزاوية النساك قد تم بناؤها في السابع والعشرين من شعبان سنة ٧٥٧هـ الثاني عشر من غشت ١٣٥٦م. وكانت تشتمل على حديقة جميلة وغرف عديدة وقاعة للصلاة وميضأة في الجهة القبلية منها مزودة بالمياه الجارية من بئر هناك. وكان للزاوية بابان كبيران أحدهما يتجه نحو مدينة سلا، والآخر يتجه نحو مدينة شالة -الجبانة الملكية لبني مرين- وقد تهدمت زاوية النساك عقب حريق شب فيها ولا يعرف تاريخه بالضبط وما زالت أطلالها باقية إلى الآن.[٢]

---

١ محمد عبد المنعم حسين مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري مؤسسة شباب الجامعة القاهرة مصر (بدون رقم طبعة ولا تاريخ) الصفحة:٦٨.

٢ مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ص:٦٨-٦٩.

وقد تحدث بِرَوْنق وعذوبة مليحة عن زاوية النساك التي بناها السلطان أبو عنان صاحب فيض العباب فقال" فهي من أحسن الزوايا، حسنة، جميلة، ذات ترتيبات فائقة، مزخرفة، بديعة الصنائع، رقشت ترقيشا باهر الجمال.[1]

الفرع الثالث: زاوية أبي زكريا الحاجي

تقع زاوية أبي زكريا الحاجي[2]غربي المسجد الأعظم بسلا.[3]

مؤسسها هو أبو زكريا الحاجي، يقول ابن مرزوق: "والزاوية المنسوبة لسيدنا أبي زكريا يحيى بن عمر (نفعنا الله بهم) بسلا غربي الجامع الأعظم منها، ولم أر لهما ثالثا على نحوهما في ملازمة السكان وصفاتهم وشبههم بمن ذكر."[4]

---

١ ابن الحاج النميري فيض العباب دراسة وإعداد محم بن شقرون دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة:١ سنة:١٩٩٠ الصفحة:٩٤.

٢ **أبو زكرياء الحاجي**: هو يحي بن أبي عمرو عبد العزيز بن عبد الله بن يحي الحاجي ويقال إنه من آل البيت النبوي الكريم وشرفه غير ظاهر بين الناس في المغرب. وإنما انتسب أحفاده إليه وقبره بتيغرا من بلاد حاجة القريب من مراكش، لم يذكر تاريخ وفاة الشيخ إلا أن ظهوره كان في آخر المائة السابعة، وكان لأبي زكرياء هذا عند الجمهور قبول تام وله في الفقر كلام حسن وتحقيق وتدقيق ووصايا حسنة بكلام لا يصدر إلا عن عالم أو ولي.

– أبو العباس ابن قنفذ أنس الفقير وعز الحقير اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وأولف فور منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٦٥ الصفحة:٦٤-٦٥.

٣ مدينة سلا في العصر الإسلامي ص:٦٩.

٤ابن مرزوق المسند الصحيح الحسن تحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا تقديم محمود بوعياد الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر (بدون رقم طبعة) سنة: ١٩٨١.ص:٤١٣.

المطلب الثاني: بناء الزاوية القديمة والجديدة بمكناسة

أقام أبو الحسن المريني زاويتين بمكناسة، كان لهما الصدى الواسع في المدينة، نظرا لانفتاحهما على معاقل العلم والمعرفة ومزية الجد وبركات الانتساب.

يقول الناصري: "ومن آثاره بمكناسة الزيتونة الزاويتان القُدْمَى والجديدة، وكان بنى القُدمى في زمان أبيه والجديدة حين ولي الخلافة، وله في هذه المدينة عدة آثار سوى الزاويتين من القناطر والسقايات وغيرها."[1]

ووصفها ابن الخطيب فقال: "ومثلت بإزائها الزاوية القدمى المعمدة للوارد، ذات البركة النامية، والمئذنة السامية، والمرافق المتيسرة، يصاقبها الخان، البديع المنصب، الحصين الغلق، الخاص بالسابلة والجَوَّابَة في الأرض يبتغون من فضل الله تعالى، تقابلها غربا الزاوية الحديثة المربية برونق الشبيبة ومزية الجد والانفساح وتفتن الاحتفال."[2]

والظاهر أن لهاتين الزاويتين اسمين: الزاوية القورجية [3] والأخرى تعرف بزاوية باب المشاوريين.[4]

١أبو العباس الناصري لاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري دار الكتاب الدار البيضاء (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٩٧. ج/٣ ص:١٧٦-١٧٧.

٢ لسان الدين بن الخطيب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب نشر وتعليق أحمد مختار العابدي دار النشر المغربية الدار البيضاء (بدون رقم طبعة ولا تاريخ) الجزء:١ الصفحة:٣٧١-٣٧٢.

٣**زاوية القورجة**: هذه الزاوية تقع برأس عقبة الزياديين، تطاول على طرف منها وزير الحربية السابق الباشا عبد الله بن أحمد وصيرها من جملة روض له، وبقي الطرف الذي به المحراب على حاله، ولما احتل الفرنسيون مكناس جعلوها مركزا للبلدية والمراقبة والشرطة.

– محمد بن غازي العثماني الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون تحقيق عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية الرباط الطبعة:٢ سنة: ١٩٨٨.ص:٣٧.

٤**زاوية المشاوريين**: تقع هذه الزاوية عن يسار الداخل لدرب سيدي غريب قرب ضريح سيدي سلامة من حومة الحمامصيين، ولا تعرف بهذا الاسم الآن، كما أن معالمها تغيرت وصارت مربطا للدواب.

–الروض الهتون ص:٣٧. (أنظر إحالة الكتاب رقم ٦٦)

وهذا ما ذكره محمد ابن غازي في كتابه الروض الهتون، فقال: "فبنى فيها مرافق كثيرة، كزاوية القورجة وزاوية باب المشوريين وغير ذلك من السقايات والقناطر في طرقاتها ونحوها."[1]

المطلب الثالث: زاوية أبي سعيد عثمان بخلوة شالة

يحتل ما يقرب من ثلث مساحة الخلوة (المشتملة على مسجد وأضرحة وحمام) في جانبها الشمالي الشرقي ما نسميه زاوية الخلوة وهي ما أسماه العلماء بمسجد يعقوب أو المسجد العتيق، من بناء السلطان أبي سعيد عثمان(ت٧٣١هـ). وشكل الزاوية الحالي عبارة عن مستطيل يمتد بطول الحائط الشمالي الشرقي للخلوة يتوسطه صحن مكشوف يمتد وسطه صهريج مستطيل به ماء الوضوء ويدور حول الصهريج أعمدة رخامية رقيقة بقي بعضها.

وعلى الجانبين الطويلين للصحن المحاط بالأعمدة ثماني مساحات صغيرة بقي من جدرانها ما يبلغ ارتفاعه المتر تقريبا تفتح أبوابها على الصحن. وكانت هذه في الأصل بيوتا للطلبة الذين يسكنون هذه الزاوية أو المدرسة، ولكن البيت الأول من كل من الجانبين من جهة الشمال بقيت فيه آثار السلالم التي تدل على وجود طابق علوي كان يمتد فوق الطابق الأسفل. ثم إن المساحة الثالثة بالجانب الجنوبي الغربي من جهة الشمال لازالت مخصصة للسلام التي توصل بين صحن هذا البناء وبين القاعة الواقعة بين المسجد العتيق الذي أرجعناه إلى عصر الأدارسة وبين هذه الزاوية أو المدرسة. وهكذا يبقى أمامنا ثلاثة عشر بيتا في الطابق الأسفل. ولا شك أن الأعمدة المحيطة بالصحن كانت تحمل عقودا وسقوفا تمتد بطول النبح الذي يسير أمام البيوت من كل جانب من الجوانب للصحن. وفي الجانب الجنوبي الشرقي من الصحن بيت للصلاة ليس به سوى كتفين يحمل كل منهما عقدين متعامدين على جدار القبلة، وهكذا ينقسم بيت الصلاة إلى أسكوبين اثنين وبلاطات ثلاث، ومحراب هذه

---

١ المصدر نفسه ص:٣٦-٣٧.

المصلى قائم بذاته على محور الباب الموصل من الصحن الى بيت الصلاة بحيث تصنع حوائطه وطاقيته بناء مستقلا يدور حوله الإنسان دورة كاملة عن طريق فتحتين يحيطان بتجويفه من كل جانب.[1]

المطلب الرابع: الزاوية المتوكلية بفاس الجديد

شيدت الزاوية المتوكلية سنة ٧٥٤هـ على يدي المتوكل على الله أمير المؤمنين أبو عنان المريني، كان موقعها خارج فاس الجديد في الشمال الغربي منها اندثرت آثارها وبقي وصف عمارتها بفيض العباب إذ شاهدها النميري على الضفة الشمالية لوادي الجواهر في مواجهة فاس الجديد.[2]

يقول النميري في وصفها: "تخلصت الزاوية العظمى التي أمر أيده الله ببنائها على غدير الحمص الذي أنسى وادي حمص، وأطلعها بشاطئه مجموع كمال لا يعرف النقص، وروضة أذهان فحصت عن المحاسن فلزمت الفحص. وما الذي أقوله في زاوية أعجز وصفها كل بليغ، وأثنته وكأنه بحيات الأقلام جد لديغ. وتدور بهذه الزاوية المباركة من جهاتها الأربع براطيل بديعة الاختراع. متقابلة الأشكال والأوضاع. قد قامت سواريها كأنها عرائس تجلى، وبأرضها من الصنائع ما هو أبدع من حللهن التي تبلى.[3]

ونظم بن جزي في زاوية أبي عنان نظما رائعا فقال:

هذا محل الفضل والإيثار = والرفق بالسكـــــان والزوار

دار على الإحسان شيدت والتقى = فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار

هي ملجأ الواردين ومورد = لابن السبيل وكل ركب سار

---

١ تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ج/٤ ص:٢٦٥.

٢ المرجع نفسه ج/٤ ص:٢٧٠.

٣ فيض العباب ص:٢٠٦-٢٠٧.

آثار مولانا الخليفة فارس = أكرم بها في الجلد من آثــار

لا زال منصورا اللواء مظفرا = ماضي العزائم سامي الأقدار

بنيت على يد عبدهم وخديم = بابهم العلي محمد بن جـــدار

في عام أربعة وخمسين انقضت = من بعد سبع مئين في الأعصار[1]

ثم صارت تعرف بدار الضيفان تلميحا لوظيفتها الإحسانية.[2]

كانت شامخة البناء، منفسحة الساحة، بقبليها جامع زينب سقفه ببدائع الزخارف. وقابله في الشمال قبة سامقة، ويدور بالزاوية من جهاتها الأربع مباحثات بديعة الاختراع متقابلة الأشكال والأوضاع قامت أساطينها كأنها عرائس تجلى وكسيت أرضها من الصنائع حللا. وقد امتد من الجامع إلى القبة صهريج بديع الطول والعرض ينتصب على حافتيه أسدان مصوران من الصفر ليقذفا من أفواههما الماء النازل للصهريج. وفي كل ركن من أركان الزاوية باب ينفذ إلى دار بديعة البناء متناسبة الأجزاء مكتملة المنافع، الباب الواقع في الشمال الغربي يشرع إلى دار وضوء مستوفية المرافق.

والديار الثلاث أحدهما لإمام الصلاة والأخرى للقائم بالأذان والثالثة للناظر في الأوقاف المتصرف في إعداد الطعام، ويتصل بالزاوية دار معدة لاستقبال الواردين، تقابلها دار للطبخ.[3]

وللزاوية والدارين المتصلين بها باب جليل في جهة الشرق مقابل المدينة فاس الجديد، وبمقربة منه قامت المنارة العالية وهي من أحسن الصوامع صنعة تكسوها أشغال الزليج الملون، وتتوجها تفافيح مذهبة، ويتصل بالزاوية من الغرب الشمالي روض مغترس بالأشجار، ولتجهيز الزاوية بروافد للدورة المائية كان

---

١ أحمد بن محمد المقري أزهار الرياض في أخبار عياض تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ومحمد تاويت وعبد السلام هراس وسعيد أعراب مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة القاهرة صندوق مشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية (بدون رقم طبعة) سنة: ١٩٣٩.ج/٣ ص:١٩٦-١٩٧.

٢محمد المنوني ورقات عن حضارة المرينيين مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء الطبعة:٣ سنة: ٢٠٠٠.ص:٦٧.

٣ تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ج/٤ ص:٢٧٠.

بغربيّها صهريج عميق تتدفق المياه في جنباته وخارجا عنها سانية بديعة الأشكال لسقي الروض وسد حاجة المرافق من الماء، ثم نصب على وادي الجواهر دولاب يضاعف كميات الماء حيث يتفرغ في قناة واصلة إلى الزاوية وبعد، فهذا وصف شاهد عيان معاصر دليل استكمال المؤسسة لجميع المرافق اللازمة للإقامة والاستجمام في حياة متكاملة للمأوى والراحة والاستجمام والعبادة بتوفر الغرف المستقلة ودور المكلفين والقومة وساحات الراحة والرياض والمسجد بصومعته العالية المستكملة.[1]

المطلب الخامس: زاوية سبتة

هذه الزاوية ابتناها السلطان الأشهر أبو عنان المريني بخارج باب فاس أحد أبواب أفراك،[2] وأعدها هناك للغرباء ولمن اضطر إلى المبيت بها من التجار وغيرهم، مليحة البناء كثيرة الزخرفة والتنميق متسعة الساحة متعددة المساكن، وصومعتها من أبدع الصوامع بسبتة صنعة وأتمها احكاما، ولم تتخلص بعد إلى الآن.[3]

١المرجع نفسه ج/٤ ص:٢٧٠. – (أنظر أيضا) ورقات عن حضارة المرينيين ص:٦٨.

٢ **أفراك**: كلمة بربرية من أصل عربي خباء على شكل دار كبيرة ذات بيوت ومقاصير ومرافق ينزل به السلطان وحرمه أثناء الأسفار الخاصة، ومكان أفراك معروف يقع في طريق الذهاب من سبتة عند الخروج منها مباشرة.

– محمد بن القاسم السبتي اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار تحقيق عبد الوهاب بن منصور الرباط الطبعة:٢ سنة: ١٩٨٣.ص:٣٢.

٣ المرجع نفسه ص:٣٢.

المطلب السادس: زاوية تافرطاست

تافرطاست وهي القرية التي دفن بها الأمير عبد الحق سنة ٦١٤هـ وقبره هناك معروف بمسجد وزاوية يطعم فيها أبناء السبيل على الدوام.[١]

قام ببنائها الأمير يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م بالقرب من مكناسة، حيث خصصت لتلاوة القرآن على روح الأمير المريني أبي محمد عبد الحق بن محيو وولده إدريس اللذين قتلا في معركة واجهران سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م ضد بني عمومتهم بنو عسكر ومناصريهم بنو رياح.

يقول المؤرخ الناصري: " وأمر أن يبنى على قبر والده أبي الملوك عبد الحق بتافرطاست زاوية فاختط هنالك رباطا حفيلا وبنى على قبر الأمير عبد الحق إدريس أسمنة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب قراءة القرآن، ووقف على ذلك ضياعا وأرضا تسع حرث أربعين زوجا رحم الله الجميع بمنّه."[٢]

المطلب السابع: زاوية سيدي الحلوي بتلمسان

أنشأها السلطان أبو عنان المريني بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقب بالحلوي سنة ٧٥٤هـ/١٣٤٤م.[٣]

١ابن أبي زرع الفاسي لذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية دار المنصور للطباعة والوراقة (بون رقم طبعة ولا تاريخ). ص:٣٤.

٢ الاستقصا ج/٣ ص:٦٤-٦٥.

٣مارمول كربخال إفريقيا ترجمة محمد حجي دار نشر المعرفة (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٨٩ الصفحة:٢٩٨.

– (أنظر أيضا) عبد العزيز فيلالي تلمسان في العهد الزياني موفم للنشر والتوزيع الجزائر (بدون رقم طبعة) سنة: ٢٠٠٢.ج/١ ص:١٤٩.

المطلب الثامن: زاوية عبد الله اليابوري داخل أسوار شالة

وتقع الزاوية على يسار الداخل من الباب الكبير بينه وبين الركن الغربي لأسوار شالة، وهي عجيبة الشكل حسنة التخطيط والهيئة مستطيلة من الجوف إلى القبلة قليلة العرض.

ولها بابان أحدهما يفضي إلى خارج سور شالة من ناحية الغرب والثاني يؤدي إلى داخل شالة. وقببها الكبرى عشر، وبيوتها محكمة العمل ليس في بنائها خشب أصلا خوفا من أن يصيبها حادث النار وإنما جعل بناؤها حجرا وأجورا سقوفا ومعارج وأسوارا وحيطانا وقد تهدم جلها وقد كسيت واجهة مدخلها الواقع خلف الباب الكبير مباشرة بالحجارة المنحوتة. ويؤدي هذا المدخل إلى ساحة مستطيلة فسيحة يحف بها من ناحية اليسار حجرتان صغيرتان وثالثة أوسع منهما يغطي كلا منها قبو من الآجر، ويلي ذلك في الظلم الطويل من المستطيل حجرتان متشابهتان بعدهما خمس حجرات أخرى يغطي كلا منها قبة محمولة على مثلثات كروية وتفتح كل قبة على الساحة المستطيلة بعقد منكسر من الآجر بينما جعلت واجهة البناء من الحجر غير المنجور. ويلي الحجرات الخمس حجرتان أخرتان تشبهان الحجرتين المناظرتين في التغطية. وكان يقابل الحجرات الخمس أخر بالجانب الشمالي الشرقي لم يبق منها سوى علامات اتصال العقود بالحائط. وقد نزل بهذه الزاوية العارف بالله أحمد بن محمد بن عاشر الأنصاري المتوفي عام ٧٦٥هـ وضريحه قرب ضريح سيدي عبد الله بن حسون بسلا.[١]

١ تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ج/٤ ص:٢٦٧.

المبحث الثاني: الوقف على الزوايا وخدماتها الاجتماعي

كانت للزاوية سواء في الريف أم المدن أوقاف، تستعمل في صيانة الزاوية وتغطية أجور المدرسين ومعيشة التلاميذ. كما أن الزاوية الريفية عادة ما يقدم إليها مسلمو الناحية جزءا معينا من انتاجهم الفلاحي السنوي. فالزاوية بالنسبة إلى سكان الناحية كانت على غاية كبيرة من الأهمية. فدور الزاوية كان يشتمل على مبيت الطلبة الداخليين ومساكن الغرباء والفقراء، وقد اشتهرت بعض الزوايا حتى أصبحت محجة للزوار والطلبة.[1]

وكانت تصلى في الزاوية الصلوات الخمس فضلا عن الدروس التي كانت تلقى على طلاب العلم، كما كانت تقوم بوظائف أخرى. يقول ابن مرزوق: "والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين."[2]

ثم إن انتشار الزوايا في العديد من نواحي المغرب، كان لمد جسور التضامن لإقامة طالب العلم وعابري السبيل، كما كانت تضم مسجدا لإقامة الصلاة، وإلى جانب أهدافها التعليمية كانت تؤدي خدمات اجتماعية متعددة لأهل القرية أو البلدة. وكان ينشئها أهل الخير أو رجال طرق الصوفية أو كبار رجال الدولة من أموال خاصة، أو يشترك جماعة في إنشائها ويوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها، وكانت إدارتها ورعايتها توكل إلى قائم عليها يعرف بالناظر وجماعة من المساعدين، فكان الناظر هو الذي يصرف أمورها ويجتمع بأتباع زاويته.[3]

فقد أدت الزاوية أدوارا مختلفة اجتماعية وثقافية، من خلال مداخيل الأوقاف ويبدو أن الأوقاف المخصصة للزوايا أخذت تتعظم، ولكن بعض الفقهاء قاموا بتحريم الوقف على الصوفية وذلك لزيفهم

---

١ أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة:١ سنة:١٩٩٨. ج/١ ص:٦٦-٦٨.

٢ المسند الصحيح الحسن ص:٤١٣.

٣ بوداوية مبخوت العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان رسالة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: عبد الحميد حاجيات جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان قسم التاريخ سنة:٢٠٠٥-٢٠٠٦ الصفحة:٧٧.

وخروج البعض منهم عن الطريق الشرعي وذلك لما كانوا يقدمون به من طقوس كالتصفيق والرقص والغناء، التي كانوا يعتقدونها، إن حجم الأوقاف على الزوايا كانت ضخمة وذلك من خلال ما تركته كتب النوازل، ومن خلال أموال الأوقاف ثم بناء وإصلاح وترميم هذه المنشأة التعليمية والدينية والتي بقيت موروث حضاري إلى يومنا هذا.[1]

كذلك قامت الزوايا والأربطة بدور كبير في توفير الأمن والاستقرار في المواضع المخوفة، حيث أمنت الطرق ووفرت الطمأنينة للمسافرين والتجار، وقد ورد في إحدى الفتاوى أن بعض الصالحين كانوا يسهمون في تأمين السبل حيث يقيمون في المواضع المخوفة التي كانت فيما مضى مأوى لأهل الفساد وقطاع الطرق الذين يهاجمون القوافل والتجار لأجل النهب والسرقة.[2]

وهذا ما أكده ابن أبي زرع عن السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق أنه بنى الزوايا في الفلوات وأوقف لها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل وذوي الحاجات.[3]

ويمكن القول إن الزوايا كانت ملجأ خير يأوي إليه أبناء السبيل وذوي الحاجة فهم يتزودون منها ما يسد حاجتهم من طعام وشراب وكسوة وسكنى وذلك بالمجان ومن ثمة فهي تؤدي دورا إنسانيا عظيما على الصعيد الاجتماعي.[4]

ومن الزوايا التي أتحفتنا المراجع بذكر بعض أوقافها زاوية أبي مدين شعيب بتلمسان، التي كانت تضم بيوتا لاستقبال المسافرين وعابري السبيل، وطلبة العلم، وحبست عليها أوقاف متنوعة، حيث حبست عليها مجموعة من الجنان والحماميم والرحى والحوانيت.[1]

---

١ عبيد بوداود الوقف الإسلامي ما بين القرنين ٧-٩هـ/١٣-١٥م ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مكتبة الرشاد للطباعة والنشر الجزائر الطبعة:١ سنة: ٢٠٠١.ص:٥٨٤.

٢ جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية ص:١١١.

٣ الذخيرة السنية ص:٩١.

٤ محمد الشريف الأحباس ودورها في تنمية المؤسسات التعليمية بالمغرب المريني والسعدي القرنان الثامن والتاسع الهجري جامعة عبد الملك السعدي كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان المغرب. ص:٢٠.

وكانت تصرف هذه الأوقاف في التكفل بالقراء والحجاج المقيمين بها والواردين عليها بتوفير الأكل والمشرب والمأوى وكذلك دفع رواتب المقيمين على خدمتها.

ثم إن الكلام عن الدور الاجتماعي للزوايا في المغرب عهد المرينيين يجرنا حتما إلى الكلام عن المعاهد والمدارس التي تخرج منها وترعرع فيها أقطاب الصوفية بهذا البلد.

والتصوف في المغرب مقرون بذكر الزوايا، فلا يمكن بأي حال من الأحوال الكلام على أي صوفي مغربي، دون الكلام عن المدرسة التي نشأ فيها وترعرع فيها هذا الصوفي، وهي الزاوية، ومع أن الزاوية تأسست أول ما تأسست بقصد تلقين المريدين القيام بشعائر الصوفية، فإنها لم تلبث أن تحولت إلى مدارس دينية، لم تقتصر على تلقين الأوراد، والتفرغ للخلوة والعبادة. بل تعدت ذلك إلى تلقين العلوم الإنسانية بكامل فروعها.[٢]

وأقيمت حولها المدارس والأبنية لسكنى الطلبة، فأصبحت الزاوية تقصد لأخذ التصوف والعلم معا. كما أصبحت مقصودة للضيافة وإيواء الغرباء والمسافرين، حتى قيل في تعريفها "إنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة." ولا زال هذا المعنى مفهوما عندنا في المغرب، حيث يفهم من دار الزاوية أنها الدار المقصودة للضيافة، وإطعام الطعام، فيقال مثلا: "دارهم دار الزاوية."[٣]

والزاوية المغربية نموذج الراعي المسؤول عن رعيته في مختلف شؤونها الدينية والدنيوية، خاصة في الفترات العصيبة مثلا حالات تعطل جهاز الدولة أو ضعف نفوذها في المناطق النائية، وكذلك الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والخلقية والروحية، ولا شك أن أبرز مثال بالنسبة للتاريخ المغربي يتمثل في

١عكرمة سعيد صبري الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق دار النفائس الأردن الطبعة:٢ سنة: ٢٠١١.ص:٥٩٠.

٢ مجلة دعوة الحق مقال بعنوان: إطلالة على التصوف المغربي وتاريخه لمحمد بن الصديق عدد:٢٨٥ غشت سنة:١٩٩١ الصفحة:٦٨.

٣ المرجع نفسه ص:٦٨.

أواخر دولة بني مرين خلال القرنين الثامن والتاسع الهجري فانتصبت الزاوية المغربية محليا وجهويا كساهر على أمن السكان، ومساهم في حل مشاكلهم اليومية كالتقاضي وحل المنازعات بين الأفراد والقبائل، وكمرجع لنشر الأخلاق وقواعده وتطبيق شريعته وفق الكتاب والسنة ومحاربة مختلف أنواع البدع ومظاهر الانحلال.[1]

المطلب الأول: دور الزاوية في الحياة العلمية

قامت الزاوية بدور هام وموسع في العهد المريني، حيث ساهمت بالدور العلمي إلى جانب المساجد والمدارس، فكانت تقصد الزاوية لتلاوة القرآن الكريم ودراسة كتاب الشفا وكذلك مدح النبي ﷺ بقصائد شعرية، وتعليم الصبية.

فكانت بذلك الزاوية مركزا ثقافيا علما إشعاعيا تشد إليه الرحال من رجال العلم وطلبته من مختلف أنحاء المغرب.

وجاء انتشار علماء الصوفية في مدن المغرب الأقصى، وتنقلهم بينها، إلى جانب المدارس التي أنشأها المرينيون، فرصة عظيمة لإذكاء الحركة الفكرية في المغرب الأقصى –مهد الدولة المرينية– وهذا بدوره فتح السبيل أمام نشر العلم والثقافة في أرياف المغرب الأقصى وبواديه.[2]

والزاوية هي في الأصل مركز للتعليم والوعظ، وقبلها كان الرباط أداة لتصحيح العقيدة والدفاع عن ملة الإسلام ضد كل أشكال الانحراف الديني، وباعتبار الزاوية شكلا متطورا للرباط، فقد تحولت العملية التعليمية البسيطة إلى ممارسة تعليمية دينية محكمة وفق شروط أكثر وضوحا، فتمكنت الزاوية من مقروءاتها وموادها المدروسة وفقهائها المقدمين للتحصيل، كما استقطبت المتعلمين من كل الآفاق

---

١ أحمد بوكاري دور الزاوية المغربية في تدعيم المذهب السني مجلة دعوة الحق العدد: ٢٥٧.يونيو/ يوليوز ١٩٨٦.موقع: www.habous.gov.ma

٢ محمد عيسى الحريري تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني دار القلم للنشر والتوزيع الكويت الطبعة:٢ سنة: ١٩٨٧.ص:٣٥٧.

موفرة لهم شروط التعليم والإقامة، بل أصبحت هذه الشروط من وظائفها الأساسية التي تحصلت بسببها كل ما يلزم لبقاء دورها العلمي والصوفي مستمرا. ومن بين الشروط (القيم الصوفية) التي فرضها بعض شيوخ الزوايا لولوج مؤسستها التعليمية.[١]

وكان الملوك والسلاطين –في العهد المريني– يهتمون بالزوايا والحبس عليها وتعميرها والنظر في مصالحها لدورها الهام في الحياة العلمية.[٢]

ولا ريب أن الزوايا اعتبرت من المؤسسات العلمية، لما لها من دور هام في التربية والتعليم في العهد المريني.

ويذكر صاحب الذخيرة ابن أبي زرع أن السلطان يعقوب بن عبد الحق، أمر ببناء الزوايا وتخصيصها لطلبة العلم وإجراء الأوقاف عليها، حتى تكون سراجا منيرا لأهل العلم. يقول: " وبنى الزوايا في الفلوات وأوقف لها الأوقاف الكثيرة."[٣]

فكانت وظيفة الزاوية في المجال التعليمي تقوم بتعليم الصبيان، إلا أن التعليم الصناعي أو الاحترافي، كان قليلا فيها، إلى غاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، حيث بدأ التعليم الرسمي فيها يزدهر بسبب انتشار نفوذ الزوايا، وهيمنة شيوخها على عقول الناس، وكثر نشاطها في البوادي، وبالتالي أصبحت تساهم بقسط كبير، في تضييق الفوارق التعليمية والثقافية بين سكان الريف وسكان المدن، وقد استطاعت أن تطبع هذا التعليم بطابع التصوف، وتجمع بين التدريس علم الظاهر وعلم الباطن أي بين ثقافة الفقهاء وثقافة المتصوفة.[٤]

---

١ بوشتى عرية الزوايا والمجتمع من خلال أدوارها ووظائفها بتاريخ ٢٣ أبريل ٢٠١٥ موقع: www.alwan.org

٢ جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية ص:١١٠.

٣ الذخيرة السنية ص:٩١.

٤ تلمسان في العصر الزياني ج/٢ ص:٣٥٠-٣٥١.

والزاوية اعتبرت هي الأخرى من المدارس والمعاهد لتعليم الشباب وتنوير العامة، فكانت الزاوية في العهد المريني تتخذ من التعليم وسيلة لجلب الناس والطلبة إلى زواياهم واعتناق مذاهبهم الصوفية واكتساب المال والصدقات والأحباس.[1]

ونخلص أن الزاوية شكلت الوعاء الاجتماعي للتعليم جنبا إلى جنب مع المدارس والمساجد.

المطلب الثاني: الزاوية دار لإطعام المحتاج ومأوى للغرباء والطلبة والفقراء والهاربين

أدت الزاوية دورا اجتماعيا في المجتمع المريني من إيواء للفقراء والغرباء وحماية الهاربين إليها من المجرمين والسياسيين المغضوب عليهم، واستقبال الدارسين في المساجد المجاورة.

وقد تخصصت الزاوية في العهد المريني باستقبال نوع معين من الضيوف بنصوص أوقافها، كما كانت ملاذا لجلوس النساء واجتماعهن. وكانت تستقبل الفقراء والمرضى والعجزة، ومخصصة لاستقبال فقراء العلماء وسكنى لطلبة العلم، كما كانت ملجأ الهاربين من العقاب والقتل مهما كانت جرائمهم. فقد كان الولاة والعامة يعتقدون في حصانة حمى الزاوية والضريح، ويكفي أن يهرب الجاني إلى هذه الحمفلا يلحق به أحد، ولا يمسه سلطان.[2]

يقول ابن مرزوق: "والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين."[3]

---

١ تاريخ الجزائر الثقافي ج/١ ص:٢٦٨-٣١٨.

٢ المرجع نفسه ج/١ ص:٢٦٩-٢٧٠-٢٧١.

٣ المسند الصحيح الحسن ص:٤١٣.

الفرع الأول: الزاوية دار لإطعام المحتاج

أدرك شيوخ الزاوية أهمية الإطعام في تحقيق الشهرة لزواياهم، لذا فقد استخدموا كل مواردهم المالية والاقتصادية، بل حتى ثرواتهم الخاصة لإطعام أكبر عدد ممكن من الوافدين والزوار.[1]

ويتحدث العلامة محمد المنوني عن محمد بن موسى الحلفاوي الإشبيلي المدجن نزيل فاس والمتوفى بها عام ٧٥٨هـ/١٣٥٧م، غلب على تصوفه الاتجاه الاجتماعي، كان إلى جانب قيامه بالأمر والمعروف والنهي عن المنكر، سلك طريق الإثار على المحتاجين، وقد شرح مذهبه في السلسل العذب حيث قدم أمثلة في هذا الصدد هكذا:

وربما تكفلت صدقته بجميع مؤمن محتاج: من قوت ومن لباس مستوفي الجزئيات في الدفعة الواحدة، فيكفيه السؤال طويل مدة، ليمتعه بالانتفاع بنفسه، من توجه إلى الله أو استنهاض لتكسب.

ويصل تحنت عبادته بالطواف على الفقراء والمحتاجين في الحضرة: فاس ويتفقد بالفواكه الرطبة واليابسة -في أوانها- من تميل إليها نفسه فلا توصله المتربة إليها فيبتاع منها الكثير مهما أظل زمانها، وتمكن إبانها، ويضعها في حانوته بالحلفاويين من فاس، ويتحمل نهاية ما يقدر على رفعه على رأسه، فيقصد به المضان إلى أن يفرغ الوعاء فيعيد امتلاءه، فيلحق تلطفه الضعفاء بالأغنياء، في استطعام شهوات ما أنعم الله به على خلقه ورزقهم من طيباتها.[2]

---

١ محمد شقير عندما نافست الزوايا السلاطين في ملء البطون لاستقطاب العقول موقع هسبريس بتاريخ:١٣دجنبر ٢٠١٧ www.hespress.com

٢أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي السلسل العذب والمنهل الأحلى تحقيق محمد الفاسي مجلة معهد المخطوطات العربية سنة: ١٩٦٤.ص:٥٥ -(أنظر أيضا) محمد المنوني التيارات الفكرية في العهد المريني فصل من مجلة الثقافة العربية العدد:٥ مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية فاس (بدون رقم طبعة) سنة: ١٩٧٢.ص:٣٧-٣٨.

ويذكر ابن قنفذ أنه رأى الشيخ الصالح أبا الحسن علي اللجائي، وكانت له به معرفة سابقة فيقول: "إذا جلست معه لا تريد أن تفارقه. وله سعي في حوائج المسلمين وتفريق الصدقات على الفقراء والمساكين."[1]

حتى إن ابن قنفذ سأل بعض الصالحين "من أين عيشتك؟ فقال: من نفقة أجراها علي اللجائي: يأتي بها عشية كل يوم."[2]

والظاهر مما ذكر أن للزاوية وشيوخها دور بارز في التصدق على المحتاجين والفقراء والمساكين من مشرب ومأكل وملبس.

فالزاوية التي بناها أبو عنان المريني سنة٧٥٧هـ بضاحية مدينة سلا وهي المعروفة بزاوية النساك، والزاوية المتوكلية على وادي حمص بضاحية فاس، وقفت عليهما أحباسا كثيرة لإطعام الواردين والفقراء والرحالة والمسافرين على اختلاف طبقاتهم.[3]

الفرع الثاني: الزاوية دار لإيواء الطلبة والغرباء

إن الفكر الذي قصده بنو مرين من تشييد الزاوية، هو جعلها تقوم بالخدمة الاجتماعية، فجعلوها بمثابة دور لاستقبال الطلبة والغرباء الوافدين عليها من خارج المملكة. فالزاوية اعتبرت مؤسسة منخرطة في أضلاع المجتمع، وتشكل إحدى لبناته، بل ساهمت وإلى حد ما في تفعيل وبلورة العمل الخيري إلى جانب الدور الروحي وأيضا السياسي.

---

١ أنس الفقير ص:٧٦-٧٧.

٢ المصدر نفسه ص:٧٧.

-(أنظر أيضا) أبو عبد الله الكتاني سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس تحقيق عبد الله الكتاني حمزة بن محمد الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء الطبعة:١ سنة: ٢٠٠٤.ج/١ ص:٣٤٦.

٣ الحسين أسكان تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مكتبة المعارف الجديدة الرباط (بدون رقم طبعة) سنة:٢٠٠٤. ص:٨٨.

يقول الدكتور إبراهيم حركات: "بنى ملوك بني مرين عددا من الزوايا في مختلف أرجاء مملكتهم لاستقبال الغرباء والمسافرين والموظفين المتنقلين."[1]

ويزيد الدكتور عبد اللطيف الشاذلي الأمر إيضاحا عن دور الزاوية المندرجة ضمن العمل الاجتماعي، فيقول: "تمثل عملية الإيواء والإطعام عنصرا أساسيا في الجهاز الصوفي ونخرج من قراءة نص التشوف بانطباع واضح قوامه أن حركة الصلحاء بشكل كبير وبأعداد كثيرة ومظاهر تلك الحركة متنوعة كانتقال القروي إلى المدينة أو انتقال الحضري من مدينة إلى مدينة فلو لم يكن الأمن فيه قائما ولا الاستقرار دائما ما كانت لتتم البنية الاستقبالية التي تهيئ نظام الإيواء والإطعام المرتبط بجهاز التصوف وهو نظام تطوعي تكافلي مبني على التعامل بالمثل بكيفية توفر لكل مسافر من الصوفية إمكانية الاستفادة من بنية استقبال في أي مكان ذهب إليه.[2]

وجاء في تحفة النظار أن الزاوية مأوى للمتصوفين والفقراء وقد كان الملوك والأشراف ينشئون الزوايا لتقديم الطعام إلى المحتاجين والغرباء، ويفهم من كتاب ابن بطوطة مثلا أن هذه الزوايا كانت بمثابة مطاعم وفنادق للمسلمين خاصة إذا كانت تعبيرا عن الأخوة الإسلامية وتطبيق مثل الإسلام في الإحسان والتصدق على الفقراء المحتاجين وأبناء السبيل والغرباء، وكانت تقام لغايات اجتماعية أو دينية أو عن روح ملك توفي أو شريف يحب عمل الخير.[3]

---

١ المغرب عبر التاريخ ج/٢ ص:١٦١.

٢ عبد اللطيف الشاذلي التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري مطابع سلا (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٨٩ الصفحة:١٣٤.

٣ رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار شرحه وكتب حواشيه طلال حرب دار الكتب العلمية بيروت (بدون رقم طبعة) سنة:٢٠١٠ الصفحة:٤٤.

ومن المعلوم أن الزوايا كانت أيضا من المؤسسات العلمية الهامة في البلاد المغرب، فبالإضافة إلى كونها موضعا لاجتماع المتصوفة للعبادة والذكر، كان يقصدها بعض الطلبة لتلقي العلم، كما كان يسمح لهم -أحيانا- بالسكنى فيها.[1]

ويمكن القول إن الزوايا في العهد المريني عرفت باستقبال الغرباء والمسافرين، كما كان يبنى بجانب الزاوية دار لنزول الواردين وأخرى للطبخ.[2]

الفرع الثالث: الزاوية ملجأ الهاربين

ساد في المغرب خصوصا المغرب الأقصى ظاهرة الهروب إلى الزوايا، وبالتحديد هروب المعارضين لنظام الحكم أو ما يسمى المخزن. فيلجأ الهارب إلى الزاوية هروبا من العقاب، وحتى لا يحاسب عما اقترفه من أعمال ضد المخزن. فكانت الزاوية الحصن الحصين له، حتى أن بعض الشيوخ كانوا يعتبرون الزاوية كمقام إبراهيم من دخلها كان آمنا.[3]

الفرع الرابع: قيام الزاوية بدور التحكيم وحل النزاعات والخصومات

تميزت دعوة سلاطين بني مرين منذ انطلاقتها بسمة التقوى والورع والدعوة إلى الله، لذلك شجعوا التصوف، وقاموا ببناء الزوايا، أولا باعتبارها سندا لهم، وثانيها للتسلح بهم كأداة فاعلة في المجتمع المريني. بل حتى أن السلاطين كانوا ينزلون عند رغبة شيوخ الزوايا ويقبلون بشروطهم.

ويتحدث ابن مرزوق عن مقابلة السلطان أبي الحسن المريني للولي الصالح أبي عبد الله الكومي الضرير المراكشي، وكان من أولياء الله بلا منازع ومن أصحاب التصوفات والمقامات، الذي اشترط شروطا

---

١ جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية ص:١١٧.

٢ فيض العباب ص:٩٣.

٣ تاريخ الجزائر الثقافي ج/١ ص:٢٧١.

لمقابلة السلطان، أن تكون هي الأولى والأخيرة وألا يعرض عليه شيئا من متاع الدنيا، فقال: "بل حتى تبلغوا عني ويتحمل سيدنا أمير المؤمنين شرطي. فرد السلطان: نعم قبلنا شروطه."[1]

يتضح من هذا الكلام الذي أشار إليه ابن مرزوق أن للزاوية قبضة شديدة ويدا من حديد وأن كلام شيوخها وشروطهم كان يمشي حتى على السلاطين، وكان يرجع إليهم في حل النزاعات والخصومات والقيام بدور التحكيم.

والزاوية عرفت بقوتها داخل المجتمع المريني وبكلمتها المسموعة، فكان الناس يقبلون بتحكيمها، بل الأكبر من ذلك أن شيخ الزاوية لما يتمتع به من سلطة نافذة وحُكما مقبولا ترتضيه كل الأطراف في حل الصراعات القبلية والنزاعات الفردية، حتى أن سلطته تعدت إلى السلطة المركزية القائمة على شؤون البلاد والعباد، بل وأن قوة سلطتها كانت تتدخل في ترسيم سلطان البلاد.

يقول الدكتور محمد مفتاح: "بل وفي بعض الحالات يتدخل شيخ الزاوية لتحقيق الصلح بين المتنازعين على السلطة فهو بذلك يشكل عامل استقرار وأمن لأنه يطفئ نار الفتن والحروب الأهلية ويحقن الدماء ويؤلف بين القلوب المتنافرة والاتجاهات المتصارعة."[2]

والمتصوفة كانوا الوسطاء الطبيعيين بين السلطة والسكان. فالتأثير الذي كانوا يمارسونه إما بشكل مباشر عن طريق الفتاوى والأحكام بين المتخاصمين أو بشكل غير مباشر عن طريق النصيحة التي يقدمونها للسلطات، وكذلك بواسطة السلوك الأخلاقي والثقافي النموذجي الذي يقدمونه بسيرتهم الذاتية، كان تأثيرا كبيرا داخل المجتمع المريني.[3]

---

١ المسند الصحيح الحسن ص:١٥٦.

٢ محمد مفتاح الخطاب الصوفي مقاربة وظيفية مكتبة الرشاد المغرب سنة:١٩٩٧ الصفحة:٥.

٣ محمد الشريف سبتة الإسلامية دراسة في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي (عصر الموحدين والمرينيين) منشورات جمعية تطوان الرباط الطبعة:٢ سنة:٢٠٠٦ الصفحة:١٥٨.

المطلب الثالث: الاحتفال بالمولد النبوي في الزوايا

دأب الصوفية على الاحتفال بعيد المولد النبوي بزواياهم أو البيوتات الخاصة، فهذا أبو مروان عبد الملك الريفي أحد تلامذة أبي محمد صالح الماجري دفين آسفي، يقيم المولد النبوي في منزله بسبتة بحضور المريدين ومن إليهم ويستعمل في الليلة السماع.[1]

إن الارتباط الوطيد للمتصوفة بهذا الحدث هو الذي يفسر ذلك الانتشار السريع لظاهرة الاحتفال بعيد المولد، فبهذه المناسبة، كان الولي السبتي الكبير، أبو مروان عبد الملك اليحاسني، يصنع لمريديه الطعام، وتقام ليالي السماع.[2]

ومع ذلك فإن المولد قد أثار معارضة بعض العلماء، باعتباره بدعة لكن هذه المعارضة لم تكن تنتقد سوى المظاهر الخارجية للاحتفال، وخاصة تلك المرتبطة بالممارسة الصوفية (رقص سماع واستعمال آلة اللهو) عند الاجتماع في ليلة المولد، كما أن هناك من أنكره خيفة وقوع المناكر واختلاط النساء والرجال. وعندما ترسخ العيد في التقاليد الدينية، لم يجد المدافعون عنه صعوبة في إيجاد نوع من الاجماع عليه، وعلى فوائده نظرا للخدمات التي يسديها عن طريق إطعام الفقراء، والاستكثار من الصدقة وأعمال البر، وقراءة القرآن الكريم، وإلى مظاهر الفرح التي يدخلها على القلوب، فرحة كان الفقيه المؤسس يريدها أن تمس قلوب الأطفال قبل كل شيء.[3]

المطلب الرابع: كفالة الزوايا للأرامل والمسنين

أدت مخالطة أهل الزوايا لأفراد المجتمع، وحسن معاملتهم، ومعرفة همومهم ومشاكلهم اليومية، فتح أبوابها للعجزة والأرامل، فلم تبخل الزاوية عليهم في تحسين أوضاعهم والاهتمام بحياتهم والتكفل بهم.

---

١ محمد التهامي الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ودوره في تشكيل فن السماع بالمغرب الحراق بتاريخ:٣ فبراير ٢٠١٢. موقع الرابطة المحمدية www.arrabita.Ma

٢سبتة الإسلامية ص:١٩٤.

٣المرجع نفسه ص:١٩٤.

فوجدت بذلك الأرامل والعجزة في المؤسسات الصوفية ملاذا لهم ويحفظ لهم ماء وجههم من السعي والتكفف للناس، فكانت الزاوية سترا لهم من التسكع في الشوارع. فاشتغل البعض منها في عهد الدولة المرينية على كفالة الأرامل المعوزات، اللاتي لا يجدن من يعولهن.

الفرع الأول: كفالة الأرامل

ونقصد في هذا المقام أرامل الحرب، فقد تمخضت في مغرب هذه المرحلة شريحة النساء الأرامل اللواتي فقدن أزواجهن في حروب وفتن هذه المرحلة، فظاهرة الترمل أضحت مشكلة حقيقية في مجتمع المغرب المريني. وعلى الرغم من أن المادة التاريخية التي تخص هذه الشريحة تظل ضئيلة ونادرة، فلا مجال للشك في أن قاعدتها كانت كبيرة، وأن ظروفها الاجتماعية كانت صعبة للغاية.[1]

ولا سبيل إلى الشك في أن أحوال الأرامل كانت أكثر بؤسا وعوزا وخصاصة، وبخاصة الفقيرات منهن اللواتي لم يخلف لهن أزواجهن ما يعلن به أنفسهن وأولادهن.[2]

الفرع الثاني: رعاية المسنين

إن الزاوية إذا نظرنا إليها من الناحية الاجتماعية، فقد أدت دورا اجتماعيا مهما كإيواء المسنين المغلوب على أمرهم، فهم الشريحة من الشيوخ الذين وهنت قوتهم واتصفوا بالضعف فلا يجدون من يعولهم، فكانت الزاوية هي الأخرى تقوم بالرعاية لهؤلاء مع ما يقدمه المخزن من خدمات اجتماعية لهذه الفئة. يقول صاحب الذخيرة: " وبنى الزوايا في الفلوات وأوقف لها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل وذوي الحاجات."[3]

---

١ حميد تيتاو الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية الدار البيضاء (بدون رقم طبعة) سنة:٢٠٠٩ الصفحة:٣٩٥.

٢ المرجع نفسه ص:٣٩٦.

٣ الذخيرة السنية ص:١٠٠.

فالمؤرخ ابن أبي زرع يشير إلى بناء الزوايا والغرض من إنشائها ألا وهو إعانة المحتاجين كالمسنين، حيث أوقف عليها المخزن أوقافا عديدة لتفي بغرض الإنفاق على من يحتاج من العاجزين.

فالتصوف المغربي في عصر المرينيين أقر مبدأ التسامح والسلام في المجتمع وإسعاف طبقاته المعوزة وإجراء الإمدادات الموصولة لتخفيف وطأة البؤس، وقد تنافس الصوفية في هذه المظاهر الإحسانية فاضطر الملوك إلى المساهمة فأسسوا الزوايا في الفلوات وأوقفوا لها الأوقاف الوفيرة.[1]

ويشير ابن مرزوق إلى أن السلطان أبا الحسن المريني كان أشفق خلق الله على من علت سِنُّه ووهنت قوته، وقد أجرى على من اتصف بالشياخة من الضعفاء ولازم الخير رواتب تكفيهم ورسمهم في جرائد عماله شيوخ الجامع، وبنى لهم دورا شبه الربط وأجرى لهم كساء في كل عام تكفيهم.[2]

ويمكن اعتبار دور الزوايا في الخدمة الاجتماعية من تقديم الصدقات والطعام من بين الواجبات المهمة، وإن كان عملها الخيري يمول من طرف المساعدات التي كان المخزن يقدمها للكثير منها، وكذلك الهبات و"الفتوح" التي يأتي بها الأهالي.[3]

المطلب الخامس: نماذج من مساهمة بعض أهل التصوف في العمل الاجتماعي

ساهم أهل الفضل والإحسان من المتصوفة بطرق متعددة في إثراء الصدقات وبسطها على المحتاجين والفقراء، حسب ظروف وأوضاع المجتمع. ونقف في هذا المطلب على مجموعة مما أفاءت به المصادر التاريخية عن بعض المتصدقين .

يذكر ابن مرزوق أن عبد الله ابن عامر بن خالد بن عقبة اشترى دارا، بجوار السوق بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل سمع بكاء آل خالد فأعطاهم الدار والمال جميعا .

---

١ عبد العزيز بن عبد الله معطيات الحضارة المغربية دار الكتب العربية الرباط الطبعة:٣ سنة: ١٩٦٣.ج/١ ص:١٦٧.

٢ المسند الصحيح الحسن ص:٤٢٧.

٣ وقفات في تاريخ المغرب دراسة مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب منشورات كلية الآداب بالرباط مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء الطبعة:١ سنة:٢٠٠١ص:١٥٤.

وكان أبو العباس أحمد بن مرزوق وجيها سريا موسعا عليه، كثير الصدقات وأعمال البر، له جرايات على الطلبة وأهل الدين والخير. وكانت له مطامير من قمح وفحم، وكان يعد اللحم المدخر، المعروف بالمسني، وبالخليع، والزيت فإذا كان يوم الثلج، فتح مطمورة من القمح وأخرى من الفحم، ويتصدق بالزرع والفحم والإدام طول يومه، فلا يرجع إلى داره حتى يفرغ من المطمورتين. وكان له كل يوم خبز الصدقة، وثيابا في كل سنة.[1]

ويشير لوتورنو إلى باب الصدقة والمعونة والبر والإحسان، اتجاه الشخص المريض أو المعوز الذي تأتيه المعونة والصدقة من أقاربه أو أصدقائه، إذ كانوا يعتبرون ذلك واجبا لا سبيل إلى الجدل حوله.[2]

وتحدثنا المصادر التاريخية عن شخص الفقيه المحدث أبي الفضل محمد، وكان حسن السمت قليل الضحك، مولعا بقضاء حاجات الناس من عرف ومن لم يعرف، تارة بنفسه وتارة بماله، حاجات من قصده. وكان الناس يتوسلون به عند الخلفاء والأمراء وغيرهم في حاجاتهم لمنزلته الكريمة عندهم، وكان أكثر تسبباته في الحراثة والزارعة والغراسة، وكسب أملاكا كثيرة، وكان كثير الإنفاق لنفسه وحاشيته ولاسيما في الولائم والمواسم.[3]

ومن الشخصيات التي برزت في عمل البر والخير والصدقات زمن بني مرين، الشيخ الصالح أبو محمد عبد العزيز الصنهاجي السلاوي، الغريق في الخير والصلاح، فهو صالح بن صالح، لين الانقياد للخير، فكان يطعم الطعام على الفقراء، ويبذل الجهد في قضاء حاجات المسلمين، وله خصائص وحالات، تأخذ بمجامع القلوب، فتقلب الأعيان للخير.[4]

---

١ أبو عبد الله محمد بن مرزوق المناقب المرزوقية تحقيق سلوى الزاهري مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء الطبعة:١ سنة:٢٠٠٨ الصفحات:١٨٨-١٩٠-١٩١.

٢روجيه لوتورنو فاس في عصر بني مرين ترجمة الدكتورة نقولا زياد مكتبة لبنان ومؤسسة غرنكلين للطباعة والنشر بيروت (بدون رقم طبعة) سنة: ١٩٦٧.ص:٨٦.

٣ علي الجزنائي جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس تحقيق عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية الرباط الطبعة:٢ سنة:١٩٩١. ص:٦١.

٤ السلسل العذب ص:٤٩.

ومن الشيوخ الذين برزوا أيضا في إعمال الخير والبر والإحسان الشيخ أبو عبد الله بن موسى الحلفاوي، كان له إذن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حسم به أدواء الفساد، وقمع الأشرار، عالي الهمة، شديد الحزم، وله شأن معروف مع السلطان أبي عنان وحكاية مشهورة إذ كان يعظمه ويؤثره ويعينه على الأخذ على أيدي المعتدين المرتكبين ما نهى عنه الدين والإيثار على الضعفاء والمساكين، وربما تكفلت صدقته بجميع مؤن المحتاج من قوت ومن لباس مستوفى الجزئيات في الدفعة الواحدة، فيكفيه السؤال طويل مدة، ليمتعه بالانتفاع بنفسه من توجه لعبادة أو استنهاض لكسب، ويصل تحنث عبادته بالطواف على الفقراء المحتاجين في الحضرة، ويتفقد بالفواكه الرطبة واليابسة في أوانها من تميل إليها نفسه فلا توصله المرتبة إليها، يبتاع منها الكثير متى أظل زمانها وتمكن إبانها، ويضعها في حانوته بالحلفاويين من فاس، ويحتمل نهاية ما يقدر على رفعه على رأسه، فيقصد به المظان إلى أن يفرغ الوعاء، فيعيد امتلاءه فيلحق تلطفه الضعفاء بالأغنياء، في استطعام شهوات ما أنعم الله به على خلقه ورزقهم من طيباتها.[1]

ونجد أيضا في قائمة أهل البر والإحسان الشيخ الصالح أبا إسحاق إبراهيم بن عباد، من أهل الاختصاص وأهل الإخلاص، وله قدم في الإيثار، فإنه آثر بأكثر ميراثه من والده، وما زال دأبه السخاء بما كان يكتسب بعد ذلك، ويصنع الطعام من كسبه للفقراء والضعفاء من ذوي الدين والفضل.[2]

-(أنظر أيضا) أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي درة الحجال في أسماء الرجال تحقيق محمد الأحمدي أبو النور مكتبة التراث القاهرة الطبعة:١ سنة: ١٩٧١.ج/٣ ص:١٢١.

١ السلسل العذب ص: ٥٥.

٢ المصدر نفسه ص:٦٧-٦٨.

خاتمة

بعد هذه الرحلة المستفيضة، كان لابد من تسجيل أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث وهي كالتالي:

-شهد العهد المريني نهضة حقيقية في مجال المعماري المتمثل في إنشاء الزوايا والتي تضافرت فيها جملة من العوامل، أهمها إسهام الدولة وأهل البر والإحسان، في تشكيل لحمة موحدة، قصد تشييد هذه المنشآت.

-اهتمام المرينيين بإنشاء المؤسسات الدينية والمتمثلة في بناء الزوايا، والتي عُدَّت مكانا لاستقطاب الناس دينا ودنيا.

-وضع قاعدة فكرية متنوعة في كل المدن المغربية والمتمثلة في توفير الزوايا لتكون مكانا للأعمال الدينية والاجتماعية والعلمية.

-امتداد أثر الوقف إلى الزوايا باعتبارها أهلا له.

-ظهور صياغة توثيقية للأحباس، فيما اصطلح عليه بالحوالات الحبسية في العهد المريني، وكانت متضمنة لاسم الواقف وتاريخ تحبيس الموقوف.

لائحة المصادر والمراجع

[أ]

- أبو العباس ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وأولف فور منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٦٥

- أبو العباس الناصري الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري دار الكتاب الدار البيضاء (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٩٧.

- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة:١ سنة:١٩٩٨.

- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي السلسل العذب والمنهل الأحلى تحقيق محمد الفاسي مجلة معهد المخطوطات العربية سنة:١٩٦٤.

- أبو عبد الله الكتاني سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس تحقيق عبد الله الكتاني حمزة بن محمد الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء الطبعة:١ سنة:٢٠٠٤.

-أبو عبد الله محمد بن مرزوق المناقب المرزوقية تحقيق سلوى الزاهري مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء الطبعة:١ سنة:٢٠٠٨.

- أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي درة الحجال في أسماء الرجال تحقيق محمد الأحمدي أبو النور مكتبة التراث القاهرة الطبعة:١ سنة: ١٩٧١.

-أحمد بن محمد المقري أزهار الرياض في أخبار عياض تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ومحمد تاويت وعبد السلام هراس وسعيد أعراب مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة القاهرة صندوق مشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٣٩

-إبراهيم حركات المغرب عبر التاريخ دار الرشاد الحديثية الدار البيضاء (بدون رقم طبعة) سنة:٢٠٠٠.

- أحمد بوكاري دور الزاوية المغربية في تدعيم المذهب السني مجلة دعوة الحق العدد: ٢٥٧.يونيو/ يوليوز ١٩٨٦.موقع: www.habous.gov.ma

[ب]

- ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار شرحه وكتب حواشيه طلال حرب دار الكتب العلمية بيروت (بدون رقم طبعة) سنة:٢٠١٠

-ابن الحاج النميري فيض العباب دراسة وإعداد محم بن شقرون دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة:١ سنة:١٩٩٠

-ابن مرزوق المسند الصحيح الحسن تحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا تقديم محمود بوعياد الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٨١.

-ابن أبي زرع الفاسي الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية دار المنصور للطباعة والوراقة (بون رقم طبعة ولا تاريخ).

-بوداوية مبخوت العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان رسالة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: عبد الحميد حاجيات جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان قسم التاريخ سنة:٢٠٠٥-٢٠٠٦.

- بوشتى عرية الزوايا والمجتمع من خلال أدوارها ووظائفها بتاريخ ٢٣ أبريل ٢٠١٥ موقع: www.alwan.org

[ح]

-الحسين أسكان تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مكتبة المعارف الجديدة الرباط (بدون رقم طبعة) سنة:٢٠٠٤.

-حميد تيتاو الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية الدار البيضاء (بدون رقم طبعة) سنة:٢٠٠٩.

[ر]

- روجيه لوتورنو فاس في عصر بني مرين ترجمة الدكتورة نقولا زياد مكتبة لبنان ومؤسسة غرنكلين للطباعة والنشر بيروت (بدون رقم طبعة) سنة: ١٩٦٧.

[ع]

- علي الجزنائي جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس تحقيق عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية الرباط الطبعة:٢ سنة:١٩٩١.

- عثمان إسماعيل تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى مطبعة المعارف الجديدة الرباط الطبعة:١ سنة:١٩٩٣.

- عبد اللطيف الشاذلي التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري منشورات جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء مطابع سلا، سلا الطبعة:١ سنة:١٩٨٩.

- عبد العزيز فيلالي تلمسان في العهد الزياني موفم للنشر والتوزيع الجزائر (بدون رقم طبعة) سنة:٢٠٠٢.

-عبيد بوداود الوقف الإسلامي ما بين القرنين ٧-٩هـ/١٣-١٥م ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مكتبة الرشاد للطباعة والنشر الجزائر الطبعة:١ سنة: ٢٠٠١.

- عكرمة سعيد صبري الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق دار النفائس الأردن الطبعة:٢ سنة:٢٠١١.

-عبد اللطيف الشاذلي التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري مطابع سلا (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٨٩.

- عبد العزيز بن عبد الله معطيات الحضارة المغربية دار الكتب العربية الرباط الطبعة:٣ سنة: ١٩٦٣.

[ك]

- كمال سيد أبو المصطفى جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي مركز الإسكندرية للكتاب القاهرة (بدون رقم طبعة) سنة: ١٩٩٦.

[ل]

- لسان الدين بن الخطيب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب نشر وتعليق أحمد مختار العابدي دار النشر المغربية الدار البيضاء (بدون رقم طبعة ولا تاريخ).

[م]

-مزاحم علاوي الشاهري الحضارة العربية الإسلامية في المغرب (العصر المريني) مركز الكتاب الأكاديمي الموصل (بدون رقم طبعة ولا تاريخ)

-محمد علي بن الصديق، التصوف المغربي وتاريخه، مجلة دعوة الحق وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط: العدد:٢٨٥ سنة:٣٢ غشت ١٩٩١

-محمد ضريف مؤسسة الزوايا بالمغرب منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٩٢

-محمد عبد المنعم حسين مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري مؤسسة شباب الجامعة القاهرة مصر (بدون رقم طبعة ولا تاريخ)

-محمد بن غازي العثماني الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون تحقيق عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية الرباط الطبعة:٢سنة: ١٩٨٨.

-محمد المنوني ورقات عن حضارة المرينيين مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء الطبعة:٣ سنة:٢٠٠٠

-محمد المنوني التيارات الفكرية في العهد المريني فصل من مجلة الثقافة العربية العدد:٥ مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية فاس (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٧٢.

-محمد بن القاسم السبتي اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار تحقيق عبد الوهاب بن منصور الرباط الطبعة:٢ سنة:١٩٨٣

-محمد الشريف الأحباس ودورها في تنمية المؤسسات التعليمية بالمغرب المريني والسعدي القرنان الثامن والتاسع الهجري جامعة عبد الملك السعدي كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان المغرب.

-محمد عيسى الحريري تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني دار القلم للنشر والتوزيع الكويت الطبعة:٢ سنة:١٩٨٧

-محمد شقير عندما نافست الزوايا السلاطين في ملء البطون لاستقطاب العقول موقع هسبريس بتاريخ:١٣دجنبر ٢٠١٧www.hespress.com

محمد مفتاح الخطاب الصوفي مقاربة وظيفية مكتبة الرشاد المغرب (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٩٧

محمد الشريف سبتة الإسلامية دراسة في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي (عصر الموحدين والمرينيين) منشورات جمعية تطوان الرباط الطبعة:٢ سنة:٢٠٠٦

-مارمول كربخال إفريقيا ترجمة محمد حجي دار نشر المعرفة (بدون رقم طبعة) سنة:١٩٨٩

محمد التهامي الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ودوره في تشكيل فن السماع بالمغرب الحراق بتاريخ:٣ فبراير ٢٠١٢. موقع الرابطة المحمدية www.arrabita.Ma

[و]

- وقفات في تاريخ المغرب دراسة مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب منشورات كلية الآداب بالرباط مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء الطبعة:١ سنة:٢٠٠١